

عقل من سهره للشباب

- ١ -

تخرج من دفاتر الاعمال والاقوال
أشباحها المرصوده
ترفع لي رؤوسها المجوفه
أمارس الدفاع والموت ، تمارس الاشياء
طقوسها الليلية المكثفه
كل جدار معبر ، كل زوايا الارصفه
أقدام شرطي يسير سيره المنتظما
دخيتي تصيح في أصابعي المرتجفه
جرحا ومدية وقلما
ونارها دما
دخانها يصيح خيمة معقوده
يصطف فيها البشر المدججون بالعيون ..

- ٢ -

وقفت بين النطع والسياف
مستجمعا مملكتي الخفيه
وارتعشت في جسدي مواسم القطاف
وانفجرت خلية خليه
تججرت وارعدت مفاصلي من خوف ان اخاف ..

- ٣ -

أرى عيون الشرطة السريه
تلمع من وجه الى وجه .
تنسكب الوجوه في الشوارع الخفيه
كل قفا وراء عينان تخرقان ظلمة النخاع والدائر العظميه
وتسالان عن هواجس الهويه
وارثنا المكتوم بين الشفة الخرساء والشفاف
وعن جوارنا الضائع بين البحر والشفاف
وعن توقع الزواج بين الحمأ المسنون والشرارة الكونيه.
أرى عيون الشرطة السريه
أصبح شرطيا ، أكابد القمع لما ينبت في الاعماق
من صرخات الشعر والقصائد المشويه
ومن طقوس الدمع والعناق
ورقصة التداخل الحميم بين جسدي وجسد البكاره
الليليه ..

- ٤ -

كان دقاء المخدع الرطب رباطا حول قلبي
كلما فكرت في السير المنوم
شدني خوف هبوب العاصفه
كلما فكرت في الأرض التي أسكنتها الليل الطويل ،
وانقسامي كلما أبصرت في الامين تاريخ الجراح الراحفه
شدني وجهك يا طفلة روعي الواجفه
شدني - في فمك الضاحك - طعم الارغفه ..

- ٥ -

حوائط الحواجز الوهميه
تحجب ايقاع الصدى الذي يجيء
من صرخة القتلى وقعقات العدة الحريه
وشهقة البيوت حينما تخلع من جذورها
والم الجبال والمقاور السفليه
حين يجيئها الخاص كل ليله ..
نظل في الدائرة الشرعيه ..
(أفتح الآن زجاج النافذه

علني البس من لحم الظلام
جسدا يستر منفاي المقام
بين جذر الأرض والزهره في فرع الغمام .
أفتح الآن زجاج النافذه
علني أسمع ميراث الحقول
وتواشيح الدخول
ومراسيم انفتاح الشيء للشيء ،
وأسرار الفطام .
أفتح الآن زجاج النافذه
علني أطلق عصفور الهواجس
علني أترك وجهي
صرخة في عذبات النخل أو وشما على حائط
مبكي

أو دما مشتعلا فوق وساده
أو سياجا مشرعا من زهرات الشموك فسي
وجه الرياح المستعاده .
حصارنا يبدأ - لو تفتحت نافذة ليليه
تحت خطى البرق - فتدخل الاشباح :

أربعة أشباح في صوت واحد :

أتينا من سماء السحر والتعزيم والتنزيل
نبشر بالحقيقة في زمان القحط والتضليل
نبشر في زمان الحق بالتهديم والتعطيل
ونرفع في المحافل شارة وعلامة لقدوم « ظلماتيل » .

ظلماتيل .. صورة وصفية :

لظلماتيل عينان
مرمّدتان بالشمس القديمة والسديم الاول
المحمول في نقالة الخلق
مفتّحتان في الأرض التي لم تختمر طمينا ولم تخضر
صحراء

وتأهتان تحت مجرة الفوضى
ومعتمتان تركض فيهما نار الدهور

وتمطر السحب القديمة ظلمة ورؤى وأضواء
له شفتان من شجر اللغات ومن جذور الشعر والصمت

له قلب تفجره خيول الحب والمقت
فينفض في ترائبه دما مستقطرا من غيمة التعزيم والكيمياء

به ماء العناصر ، فيه سر المزج والخلط
وفيه المعجم الأبدي للأفعال والأسماء

له نعلان من طين الشرائع والوصايا المطفآت .
وشعره الاسود

كروم غلقلت أصلابها في رأسه المعطاء
لتشرب من عطاياه

وتحمل من عناقيد التذكر كل ما سيجيء من أحياء
وفي رثته روح الماء

وأشجار التناسل والدم الدوار في دوامة الابناء .
شبح :

كان يمشي مسرعا ، كان يطير
خالما وجها نباتيا ، ومملوء الخلايا

بتواريخ اللقاح
عابرا خضخضة الموج .. له ألف ذراع
تقطف الجنس المشاع

في كهوف الليل والفسفور ..

يلو ويطير

في انفجار البيض عن أفراخه ،

يدخل في طبل القبيله

شبقا أو لفة بكرا ورؤيا مستحيله

تصبح الارض له زوجا وأما ، ويشير

شارة الدهشة .. تمتد الشوارع

يرقص الآن أمامي

خالعا وجه البدايات القديمه

صارخا كي تصبح الارض له أما وزوجا وقبيله .

شبح :

دق في الليل زجاج النافذه

وتدلى رأسه من قفلها .. ثم تجسد

قال : « فلتلق على كفي ما تحمل من ارث الشكاوى

فأنا أصعد من جوعك للخبز الخرافي وللشمس التي

تطلع من آنية الحبر العتيقه

وأنا أصعد من ليل السجون

وانتظاراتك للخيل وفرسان المطر

وأنا أصعد من مهد السفر

وبكاء الريح في باب المواني الموصده » .

مدّ كفيه الى جميزة الحزن القديم

- في دمي - ، هز الفروع

فارتمت منها وريقات الدموع

وانتظرت الفرحة الطالع من نسغ الاغاني المعتمه .

قال : « هبني صوتك الدافئ كي أنعس فيه

وأرحني من شقاق الكلمات

كل آت سيجيء . »

كانت القافية الصعبة والليل البطيء

مقودا حول عظام القدمين

وأنا احمل في ثلج اليدين

تاجه حتى ينام

رمحه حتى ينام

وانتظار الشمس من عام لعام ..

شبح :

كانت الليلة سورا ، والمدينه

حائطا ينتظر الباكين في جوف الشقوق

وسراجا معتم الضوء يغطي الكائنات

باستدارات السطوح الفارغه

ومراسيم الثبات

وأنا أغلي انقساما فوق اسفار الدم الحي

وأسفار المات .

أقبل الموت (الذي كان صديقي

في رؤى الرعب القديم

وانتظار الزمن الطالع كالزهرة من فوضى السديم)

أقبل الموت بوجه وقناع

ضممني وهو يغني بالوداع

لزمان اليأس بالاندلس

(جادك الرعب اذا البرق رمى

رمحه بين الضحى والفلس

فأحال الصمت نارا ودما

آه يا ليلا زجاجي العيون

أطفئ الآن عيون الحرس

علّني أهرب في نعش الجنون

هرب الطين يجذر الزجس

أو أرى الشعر الخرافي الظنون

جال في النفس مجال النفس

سدد السهم فأصمى اذ رمى

طائر الخوف وعصر العسس

وأحال البرق أطلال الحمى

بئر نار في هشيم اليبس)

وأنا أغلي وأغلي .. أتبخر

تصبح الظلمة أقدامي وعنف الريح في البحر خطايا

أخذ النار النبي خبائها البرق بأوتاد الخلايا .

تصبح النار عطايا

تحرث الارض .. فتنشيق البكاره

عن تواريخ الزنا ، تنقلب الاسطح ،

يهوي كل ما قام ،

وفي قلب الحطام

كنت مدفونا أرى دائرة الافق تضيق

وغبار الهدم يصاعد ، والشمس بقايا

من دم يعقد في بطن السديم ..

- ٦ -

هذه الارض - الخلاء

بعد ان قاءت بنيتها

أخرجت احشاءها وانتظرت اغربة الليل :

وباء فمجاعة

واندحارا تحت خيل الغزو او خيل الحرس

وانكسارا صامدا تحت لثام اللغة او صمت الفجيعة

(هذه جوهرة الخضرة نفلي

تحت عيني وتعلوها المياه

كل شيء زبد يطفو وردد ودخان

وسماء تتخلق

واطار الافق الدائر يدنو ويضيق

وأنا - كائن ايام الحريق الآنيه -

طينة في بيضة الارض وايقاع عميق

يتخفى صوته في أبجديات الحريق .)

فاطلع الآن .. ففي كل رماد وسقوط

أسمع الطينة تغلي بنشيش الاختمار

وأرى كل تواريخ القنوط

وأساطير العصور الذهبية

وأرى شيخوخة الدهر البطيء

برعما تصعد منه الشجره ..

(عرف الاسماء من قبل المسمى

عرف الفعل عبورا من تقيض لتقيض

لبس الصمت البدائي قناعا وانتظر

رعشة الدهشة والصوت الحوارى الخفيض)

فاشرب الآن عصير الثمره

وابدا العري البريء ..

طأطء الرأس .. فقد أثقلت التاج المليء

ببقايا الشهب الاولى وافلاك المطر

وتواريخ الرؤى المندثره

وحوار القبضة البكر وازميل الحجر

وتقدم بالشعار الملتهب

تاركا في صخرة الارض - الخلاء

- من خطى الثورة والخلق - علامه

للقيامه .. القاهرة

محمد عفيفي مطر